العدد A14 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية آب 2026
No. 14A Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences Aug 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

شرح ابن هشام النحويِ لقصيدة البردة مقاربة تداولية

م. د. نعمة حسين مفتاح عاروض
الجامعة العراقية - كلية العلوم الإسلامية / قسم اللّغة العربيّة
neamah.h.meftah@aliraqia.edu.iq

الملخص
إنَّ أهم غايات بحثنا هذا الموسوم بـ (شرح ابن هشام النحويِّ لقصيدة البردة مقاربة تداولية) النظر في مسلك ابن هشام في شرح القصيدة، للوقوف على الجوانب التي جعلت الشرح مندرجاً في مسلك الدراسة التداولية، ابتداءً من مفهوم الخطاب، وما يتعلق بمفهوم التداول، وما يتبع ذلك من مفاهيم، لا سيما السياق، والحوار والحجاج، وما يحلق بها من غايات التداولية وإجراءاتها في دراسة أدوات الكلام، تلك المتعلقة بالتركيب النحوي، والبعد البلاغي، والمعجم اللغوي، فمنطلق البحث هو التركيز على النظر في مدى اهتمام الشارح بقضية الاستعمال، والنظر إلى الأدوات التي ينبني عليها الكلام، لا من حيث كونها وظائف آلية، وإنما إدخالها في الدائرة التي تعتني بقضية التواصل بين المنشئ والمتلقي، وكذلك فيما يتعلق بأدوات الخطاب التي استعملها الشارح، والتي نستشفُّ من خلالها ما كان ينطوي عليه شرحه من فكر تداولي تعليمي.
الكلمات المفتاحية: خطاب، تعليم، تداول، آليات، شرح

Ibn Hisham's Grammatical Commentary on the Burda Poem: A Pragmatic Approach

Dr. Ni'ma Hussein Muftah Aroudh
Iraqi University
College of Islamic Sciences / Department of Arabic Language

Abstract
The primary objective of this study, entitled “Ibn Hisham al-Nahwi’s Commentary on Al-Burdah: A Pragmatic Approach,” is to examine Ibn Hisham’s method of commenting on the poem in order to identify the aspects that render his commentary consistent with the principles of pragmatic analysis. The study begins with the concept of discourse and its relation to pragmatics, followed by an exploration of associated concepts, particularly context, dialogue, and argumentation, together with the aims and procedures of pragmatics in the analysis of linguistic expressions. It further investigates elements related to syntactic structure, rhetorical dimensions, and the lexical system. The research primarily focuses on the extent to which the commentator was concerned with the issue of language use and with the linguistic devices upon which discourse is constructed, not merely as mechanical grammatical functions, but as communicative tools operating within the interactive relationship between the speaker (or author) and the recipient. In addition, the study examines the discourse strategies employed by Ibn Hisham, through which the educational and pragmatic dimensions underlying his commentary become evident.
Keywords: Discourse; Education; Pragmatics; Mechanisms; Commentary.

المقدمة
الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجميعين. أما بعدُ

فقد نالت قصيدة كعب بن زهير الموسومة بـ (بانت سعاد)، والمعروفة بـ (البردة)، شهرة واسعة على مرِّ العصور، فقد تلقفها الشرَّاح بكثير من الشروح، على مختلف المستويات اللغوية، وكان من بين تلك الشروح شرح ابن هشام النحوي، وقد نال هذا الشرح هو الآخر من اهتمام الدارسين الشيء الكثير، وذلك لاكتنازه بمادة لغوية علمية غزيرة، وبعد الاطلاع على الشرح، وجدنا أنَّه يحوز على مقاربة تداولية، وذلك من خلال الخطاب التعليمي، الذي انطوى عليه الشرح، والذي استعمل كثيراً من الأدوات التي تسعى إلى غايات استعمالية تواصلية، في إطار السياق والقصد، وكذلك النظر إلى اللغة على أساس كونها أداة للتواصل في مقاماتها الخاصة. ومن هنا حاولنا تقديم هذه المقاربة التداولية للخطاب التعليمي فيها. وقد اقتضت خطة البحث أن تأتي بالتمهيد الذي اشتمل على عدة مداخلة لا بد منها. وثلاثة مباحث، هي: المبحث الأول: منهج ابن هشام التداولي في الشرح، والمبحث الثاني: الأبعاد التداولية في شرح القصيدة. والمبحث الثالث: البعد البلاغي في شرح ابن هشام. وختم البحث بخاتمة أجملت فيها نتائج البحث. والله الموفق للصواب.

التمهيد : مداخل عامة

مدلول (خطاب)

الخطاب هو الأداة الأساس للغاية التي تسعى إليها لغة التواصل، أو ما يعرف بتداول اللغة أو استعمالها، ومنه هنا فكل دراسة تداولية لابد من أن تمر على مفهوم الخطاب.

إن للخطاب زخماً مفاهيمياً متنوعاً وإن سبب تنوعه هوتنوع ميادين المعرفة الإنسانية؛ فإن لكل ميدان خطابه الخاص به، وذلك باتخاذه اللغة وسيلة للوصول إلى الآخر بما يمنح هذه اللغة من بعد سلطوي، والمقصود بالبعد السلطوي هو "القدرة على الجدل أو على توظيف الكلمات والأساليب التي تمكن المرء من خلال عرض قضيته أو الدفاع عن موقفه إلى التوصل إلى وفاق"[1]؛ بقصد التأثير على المتلقي من خلال سلوك يستطيع إبراز العلاقة المتبادلة بين اللغة وسياقاتها الإستعمالية، فالخطاب في مرحلته هذه يمثل المنطوق الموجه إلى الغير لغرض إفهامه مقصوداً ما كما يمثل الصورة الكتابية أيضاً، وإن هذا الخطاب لايقف عند حدود الحضور والعيان؛ بل يتعدى هذا الحضور العياني إلى الحضور الذهني، وكثيراً ما أشار الباحثون إلى تعدد أشكال الخطاب، فكل ملفوظ أو مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة بذاتها، " ويتميز الخطاب المكتوب باختيار الأفكار وترتيبها، بما يحقق مسافة يرسمها الكاتب بينه وبين خطابه من خلال بعض العلامات التي نفذها؛ علامات تفاوض للتفاعل مع أولئك الذين يوجه إليهم الخطاب "[2].

إنَّ الكتابة مؤسسة إجتماعية موجهة لتسجيل الأحداث التي كانت على صورة شفاهية بواسطة أشكال خطية، فالكتابة غاية لديمومة النص ليكتب له البقاء، وفي هذا المنظور يكون مصطلح الخطاب هو النص، بوصفه عملية تواصلية تستعين باللغة، غير أنها تتجاوز اللغة إلى أطراف تلك العملية؛ لأن تحليل الخطاب والكشف عن طرق إنتاج الدلالات الكامنة فيه يستدعي مراعاة أطراف غير لغوية منها: الصوت، والإشارة، والدلالات المساعدة الأخرى في إيصال الفكرة، ومن هنا " فإن مصطلح الخطاب يوحي أكثر من مصطلح النص بأن المقصود ليس مجرد سلسلة لفظية تحكمها قوانين الإتساق الداخلي؛ بل كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية بالمعنى الواسع، بهذا المعنى يكون الخطاب إنتاجاً لغوياً أيا كان حجمه منظوراً إليه في علاقته بوظيفته التواصلية... بوصف الخطاب سيرورة تواصلية تفاعلية لاتنفك عن المقام التواصلي الذي تم إنتاجها فيه"[3].

الخطاب التعليمي

هو الخطاب الذي يتم فيه تحويل المادة العلمية إلى خطاب ذي طابع تعليمي، ويعدُّ هذا النمط من الخطاب نمطاً تواصلياً، له قواعده الوظيفية، في عملية التعليم، كما له أدواته وشروطه، لكي يحدث الأثر المطلوب في المتفاعلين مع عملية التعليم. وبناء على ما تقدَّم يهتمُّ الخطاب التعليمي بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، فيضع السياق بعين الاعتبار، فيدرس الكلام في سياقه ومقامه الخاصين.

لا شكَّ في أنَّ لغة الخطاب هي الأساس الواقعي في كل وضعية تبليغية، ولابدَّ لها أن تقوم على أسس علمية تخاطبية، وأنَّ التداولية من شأنها الكشف عن المقدرة الإبلاغية، التي تحققها العبارة اللغوية، فهي تدرس دلالة اللغة في الاستعمال[4]، وهذا ما لمسنا في المادة اللغوية التي سعى ابن هشام أن يجعلها مادة

تعليمية، بوساطة أدوات، فيها مقاربة تداولية كبيرة، من أجل إحداث التفاعل المطلوب مع المتلقي، ليكون الخطاب التعليمي مؤثراً في المتعلمين.

التداولية

لفظة تداولية مشتقة لغةً من مصدر (تداول) يقال: دال يدول دولاً أي انتقل من حال إلى آخر، وأدال الشيء أخذه مرة؛ إي أنَّ اللفظة تدل على التحوُّل، وتعني تحوُّل الكلام من وضعه الظاهرفي العبارة أو النص أو الخطاب إلى وضع آخر لايشبه الشكل الذي وضع عليه، وهو المعنى الجديد الذي يقتضي أثراً في السامع، ويتطلب إنجازاً لفعل ما. أمَّا في الاصطلاح فالمصطلح (Pragmatiqu) يرجع في دلالته إلى اللغة اليونانية من أصل (pragma) الذي يعني(action)، ومنه اشتقت الصفة (Pragmatikos)، التي تتعلق بمعاني العمل، وقد دلَّ مصطلح(Pragmatique) على عدة معانٍ في اللغة العربية' وذلك على وفق ارتباطه بالعلوم المختلفة كالفلسفة واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم الترجمة.

ومن أهمَّ دلالاته هو الارتباط بمعاني: النفعية، والذرائعية، والمقاصدية، والنفعية أو البراغماتية التي تعني: دراسة اللغة من خلال الجانب الوظيفي، الذي يحاول أن يبين ملامح التركيب اللغوي عن طريق الإشارة إلى الأسباب غير اللغوية، وبذلك تكون اللغة هي النتيجة العملية التي تترتب عليها من حيث كونها مفيدة أو مضرة وكذلك تدرس نظرية الأعمال اللغوية وتنظر إلى الأقوال بما هي مسرح تظهر عليه عدة مستويات من العمل اللغوي[5].

وثمة مقاربات بين مفاهيم التداولية والدراسات اللغوية العربية، وقد عمد كثير من الباحثين العرب إلى فحص الموروث العربي بحثاً عن الجوانب التي اعتمدتها الدراسات القديمة فيما يتعلق بالنظر إلى اللغة في جانبها الاستعمالي، الذي تعتني به الدراسات التداولية الحديثة، وقد وجدت تلك الأبحاث كثيراً من الالتفاتات التي تشير إلى جانب الاستعمال، سواء أكان ذلك في الدراسات اللغوية أم النحوية أم البلاغية، وقد أشار الكثير من الدراسات العربية في المجال التداولي إلى أنَّ علوم العربية؛ لاسيما علم البلاغة وعلم النحو لم يخلوا من فكرة التعامل مع النصوص على مستوى الاستعمال، والالتفات إلى أطراف العملية التكلمية: المتكلم والمخاطب، والاهتمام بالسياق والمقام، والتركيز على المقاصد، وما إلى ذلك من الأمور التي تعتني بها الدراسات التداولية الحديثة[6].

غاية التداولية

أهم غايات الدراسات التداولية هي محاولتها إيجاد إجابات عن أسئلة تتعلق بما يفرزه الكلام من إنجازات فعلية تتعلق بكل أطراف العملية التكلمية: المتكلم، والكلام، والمتلقي للكلام، والوسط الناقل للكلام أو ما يعرف بالسياق، فـ " التداولية لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة ؛ أي باعتبارها كلاماً محدداً صادراً من متكلم محدد، وموجهاً إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد، في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد" [7].

إنَّ الآلية التي من خلالها يتم الكشف عن جريان عملية التكلم تدور في فلك المتكلم، والمخاطب والمحيط الناقل للكلام، ولايمكن الوصول إلى الغاية إلا من خلال معرفة هذه الأطراف.

آليات التداولية

لا بد من الإشارة إلى أنَّ لكلِّ اتجاه تداولي مفاهيمه الخاصة التي استنبطتْ من خلال دراسة (العيِّنة) اللغوية التي اشتغل عليها، ومن ثمَّ فهي ليست قوالب ثابتة تصلح لكل لغة، فضلاً عن أنَّ الفكرة الرئيسية التي تقوم عليها التداولية هي التعامل مع الكلام من خلال النتائج التي يُحدثها في المتلقي، والتي تحول الكلام إلى فعل إنجازي، ومن هنا فلابد من أنْ تكون الآليات الإجرائية مختلفة بحسب اختلاف ميدان اشتغال تلك الآليات، ولعلَّ من أهم المبادئ التي تقوم عليها الدراسة التداولية هي: متضمنات القول، والاستلزام الحواري، أو المحادثي، ونظرية الملاءمة، ومفهوم الفعل الكلامي، أو ما يسمى بـ نظرية الأفعال الكلامية[8]. فكلُّ مقاربة تداولية لابدَّ من أن تأخذ بنظر الاعتبار وجود هذه المبادئ، لتكون المقاربة واقعية، وليست افتراضية أو مقحمة.

إنَّ المغزى من الانفتاح على المناهج التداولية هو للخروج من طبيعة البحوث التي كانت تمارس على النصوص من خلال عزل لغتها عن الواقع والفك، إذ كانت تلك الدراسات تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، غيرَ أنَّ دراسة العربية، لاشكَّ في أنَّها تمكِّن منشئ الكلام من إفهام مقاصده، وذلك اعتماداً على

التواصل الفكري بينه وبين المتلقي، والمنظور الحديث يرى أنَّ التداولية تُعدُّ قاسماً مشتركاً بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية، ولهذا تكون معرفة العربية بين المنشئ العربي والمتلقي العربي، من النحو والتصريف هي القناة الأولى لخلق عملية التواصل، ومن هنا تُفهم التداولية أنها تنظيم غير مخالف لعلمي الدلالة والنحو إلا في المستوى فحسب، إذ إنه يقوم بجمعهما في مستوى ثالث خاص بالسياق المباشر، وهو ما يقوي أواصر التواصل بين المبدع والمتلقي، إذ تُعنى التداولية بالاقتراب من الخطاب بوصفه موضوعاً خارجياً، والافتراض بوجود فاعل منتج لذلك الخطاب، ويترتب على ذلك علاقة حوارية مع مخاطب [9].

المبحث الأول

منهج ابن هشام التداولي في الشرح

أهم ملامح منهج ابن هشام في شرح القصيدة، تمثَّل بما يأتي:

عمد إلى توضيح ما يراه مشكلاً على القارئ في استيعاب المعنى العام للقصيدة.

استعمل الأدوات النحوية واللغوية والبلاغية، فتنقَّلَ من بيان مسألة نحوية إلى الإشارة إلى فائدة بلاغية، إلى شرح لفظ غريب، إلى سوق حكاية تخدم المعنى العام.

استعمل كثيراً من الشواهد الداعمة، من الآيات والأحاديث والأمثلة والأقوال.

سخَّر الأدوات الدراسية السابقة من أجل إنشاء خطاب تعليمي تداولي، يراعي السياق والمقام، في إطار تواصلي مع القارئ، مركزاً على الجوانب الاستعمالية للغة في أبعادها المعجمية والتركيبية المختلفة. قال ابن هشام: " فإني موردٌ في هذا الكتاب قصيدة كعب بن زهير، التي مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنشدا بحضرته الشريفة، وبحضرة أصحابه المهاجرين والأنصار، ومردفٌ كل بيت بشرح ما يشكل من لغته وإعرابه ومعناه، ومعط للقول في ذلك كله حقه ومستحقه إن شاء الله تعالى "[10].

ونستدلُّ من النص السابق غاية ابن هشام في إنشاء خطاب تداولي تعليمي، بوصفه خطاباً تواصلياً مع المتلقين، وذلك بَعدِّ الخطاب هو المدخل الرئيس للعملية التداولية، وما يستدعيه هذا الخطاب من سياق وقصد، في التعامل مع الإجراءات التي اتبعها الشارح في شرح القصيدة.

الدوافع

يتحدث المؤلف عن دوافع الشرح فيقول: " والذي دعاني إلى هذا التأليف غرضان سَنيَّان: أحدهما التعرُّض لبركات من قيلت فيه صلى الله عليه وسلم"[11]. وهذا الدافع لا شكَّ في كونه داخلاً في التهيئة السياقية، التي يسعى إليها المؤلف، من أجل أن تتكامل عناصر العملية التواصلية بينه وبين المتلقي، فإن ذكر هذا الدافع فيه تعضيد لسياق الشرح وملابساته. أما الدافع الآخر، فهو: الدافع التعليمي، والخطاب التعليمي، ويتبين هذا في قوله: " إسعاف طالبي علم العربية بفوائد جليلة أوردها، وقواعد عديدة أسردها"[12].

نفهم من هذا أن مغزى الخطاب هو تعليمي بالدرجة الأولى، والخطاب التعليمي يستدعي أن يكون المنهج تواصلياً بين المنشئ والمتلقي، ولابد من أن يكون الشارح آخذاً بنظر الاعتبار جانب الاستعمال، سواء على مستوى اللغة وفيما يتعلق بصرفها أو مستواها المعجمي، وكذلك المستوى النحوي، وما يتعلق بالتراكيب النحوية ووظائف مواقع الإعراب، التي يسعى إلى جعلها قابلة للفهم والتواصل، ولذلك تميز هذا الشرح بالسهولة وهو الذي أرشد طلبة العلم إلى معرفة المراد من القصيدة، ولم يكن ابن هشام مجرد شارح؛ بل نرى رأيه في االعديد من المسائل وبخاصة المشكل منها، وقد يزيد ابن هشام إيضاح المسألة التي يتناولها من خلال إضافة وجه آخر عليها أو تفصيلات وتفريعات وتوضيح المسألة المرادة، فتبرز قدرته العلمية ومقدرته على الإحاطة بالمسائل النحوية واللغوية ومهاراته في إيضاح ما غمض منها، وإلقاء الضوء على على جوانبها المتعددة، وإكمال بنائها وحسن استخراجها [13].

الخطاب التعليمي في شرح القصيدة

لعل أوضح الصور التي تثبت ملامح الخطاب التعليمي في شرح ابن هشام هو الجانب المتعلق بدراسة عروض القصيدة، ويمكن أن نستدل من هذا الجانب على أنه كان يرى علاقة بين مضمون القصيدة وعروضها، ولهذا ابتدأ بدراسة العروض فقال:" في بيان بحر هذه القصيدة"[14]. وقال أيضاً: " وأول

شيء اشتملت عليه هذه القصيدة هي التشبيب، وهو عند المحققين من أهل الأدب جنس يجمع أربعة أنواع.... " [15].

فالحديث عن البناء الفني، وكذلك ذكر الأوجه الأدبية، يدل على محاولة ربط الموضوعات اللغوية والنحوية بسياقات الأدب، وهذه السياقات هي التي تغني فكرة التداول، والجوانب الاستعمالية اللغة في إطارها السياقي والمقامي. ومن ملامح الخطاب التعليمي:

الأسلوب الحواري

بالعودة إلى مفهوم التداولية، نجد أنها ليست على مستوى واحد أو اتجاه محدد، فثمة التداولية التلفظية، التي تهتم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ، وبعض خصائص الجهاز التلفظي، والتداولية التخاطبية، أو نظرية أفعال اللغة وهي عند أوستن وسيرل تختص بدراسة القيم التخاطبية من خلال اللفظ، والتي تسمح له بالاشتغال كفعل لغوي خاص، والتداولية التحاورية في ظل الأفكار المؤسسة، والتي تهتم بدراسة هذا النمط الخاص من التفاعلات التواصلية ـ الحوارات والتبادلات الكلامية[16]، ولو تأملنا الشرح، فسنجد أنَّ معظم هذه المستويات حاصلة فيه، ولاسيما مبدأ الحوار، فقد عمد ابن هشام إلى تصوير عملية حوارية بين أستاذ وتلميذ يجلس بين يديه، فهو يحاوره ليصل به إلى المراد، وأحياناً يتخذ شكل المحاورة شكل المنظرة في أساليب التبكيت والإفحام وقطع اللسان بالحجة والبرهان[17]، وكلُّ هذه أدوات خطابية بامتياز، فمن ذلك مثلاً: " فإن قلت الحذف في الضرب واقع على ما ذكرتَ، فمال بال العروض جاءت محذوفة؟ وإنما ذكرت أنها مخبونة؟ قلت تصريع البيت أوجب ذلك، ومعنى التصريع... "[18].

الحوار الحجاجي

لا شك في أن الحجاج مفهوم يتعلق بكل مدَّعٍ ومعترضٍ، من خلال حوار يقوم على تبادل الكلام للتأثير أو للتغيير. فهو كل منطوق به موجه إلى الغَير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها، فـ " كلما وقفنا على لفظ الحجاج تسارعت إلى أذهاننا دلالته على معنى التفاعل، حتى إنَّ ما سواه من مظاهر التفاعل، إن تبادلا للتأثير أو تناقلا للتغيير أو ترابطا وظيفياً أو حتى تجاوبا وجدانياً، تبدو لنا موضوعة على قانونه، ومفهومة على مقتضاه، أو قل إنَّ الحجاج أصل في كل تفاعل كائناً ما كان"[19]. وعلى هذا الأساس يكون الحجاج فعالية تداولية؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجهاً بقدرما للوصول إلى نتائج محددة.

غاية الحجاج

وضع بيرلمان وتيتكا لمفهوم الحجاج غاية أساسية، يخرج على وفقها من سيطرة البلاغة والجدل[20] إلى المنطقة التي يكون مرتبطاً فيها بمفهوم المعقولية ومفهوم الحرية، ليصل بذلك إلى مايجعله بعيداً "عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيداً أيضاً عن الالتزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل"[21]، ولكن على كلِّ حال تبقى ثمة رابطة بين الحجاج والاستدلال، مع وجود الفرق الأساس الذي يمتاز به الاستدلال في كونه ذا عناصر أحادية المعنى، ولذلك يكون مفهوماً لدى العامة، وأنَّ نتائجه محددة في مقدماته، ولاتطرح أي إشكال. أما الحجاج فيتميز بالتعدد والاختلاف في المعنى، وأنَّه يرتبط بمقام مخصوص، كما أن الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية أيضاً، و أنَّ مبادئ الحجاج تقوم على أساس عقلي؛ إذ ينقسم إلى قسمين: إقناعي، واقتناعي. فالأول يتوجه إلى متلق مخصوص يعتمد على مكوني العاطفة والخيال. أما الآخر فإنه يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل، لكنه عام يعتمد أساساً على العقل، ويبنى هذا الحجاج على مقدمات هي: الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم والمدارج والمواقع أو المواضع[22].

ولو تأملنا خطاب ابن هشام التعليمي، فسنجد أنه ينطوي على طابع حجاجي واضح، وبأشكال وأدوات حجاجية مختلفة، كالاستفهام والاعتراض والإطناب في عوض المسائل، وغير ذلك من الأدوات التي من شأنها ترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي، فمن ذلك مثلاً قوله في عبارة (سقاك بها). قال: " يحتمل ضميره المجرور خمسة أوجه: أحدها أن يعود إلى المقالة المفهومة من قلت، كما عاد الضمير المؤنث من قد سألها إلى المسألة المفهومة من قول الله تعالى: (لاتسألوا عن أشياء... ولو كان الضمير في الآية عائدا إلى أشياء

لعذِيَ بـ عن، لا بنفسه... الثاني أن يعود على المقالة المفهومة من قلت... الثالث: أن يعود على نفس ما ... والرابع: أن يعود إلى الكلمة... والوجه الخامس: أن يعود على الكأس، فيحتمل إعرابه وجهين... "[23]

السياق في المنظور التداولي

إنَّ الاتجاه الذي ساد طويلاً في الدراسات العربية، في ما يتعلق بدراسة النصوص هو الوصف المعياري، ولكن معطيات العصر الحديث تطلبت أن يصار إلى خطاب معرفي جديد؛ إذ اشتدت الحاجة في العصر الحديث إلى اللسانيات وإلى مناهجها، من أجل تطوير الاجراءات التي تهدف إلى غايات تأويلية وخطابية للنصوص، التي هي ذاكرة الأمم ودليل حياتها، فلابد إذن من إيجاد علاقة بينها وبين التطورات الجوهرية التي يشهدها البحث اللساني، ومن هنا باتت الحاجة ماسة إلى أن تستوعب الدراسات هذه التطورات اللسانية المعاصرة، وأن تستوعب ارتباط مفاهيمها اللسانية بأنظمة معرفية تقوم على تصور المفاهيم وتقنيات الوصف والتفسير، وهي مفاهيم دقيقة تأسست على تقاطعات معرفية عديدة، الأمر الذي من شأنه أنْ يفيد في إغناء الدراسات الحديثة بالوسائل التي تسهم في الكشف عن الطاقات الكامنة في النصوص، ولهذا اشتدَّت الحاجة إلى الأخذ بنظر الاعتبار الجوانب السياقية التي أنتجت فيها النصوص، إذ يكون السياق حاضراً، أن تستغني عنه أية دراسة تداولية، وذلك لأن التداولية تبحث في ما وراء العلامة اللغوية [24]. وقد تقدَّم الحديث عن منظور ابن هشام فيما يتعلق بالسياق، إذ وجد أنَّ النظر ينبغي أن ينطلق من العلاقة بين العلامة اللغوية ومستعمليها، وحاول كذلك أن يبين أن إدراك المعايير والمبادئ التي تضبط عملية إنتاج الخطاب، وتبدأ من عنصر السياق، فكانت ملامح السياق بادية في جوانب الدراسة، فمن أجل العملية التواصلية، التي هي من غايات التداولية، سعى ابن هشام إلى الإجراءات السياقية الخارجية والداخلية التالية: التعريف بالشاعر وذكر شيء من إخباره، لجعل المتلقي في بيئة قابلة لفهم النص. وبيان عروض القصيدة، وما يتعلق بهذا الجانب. وبسط القول في مناسبة القصيدة وملابساتها. قال: " ولنقدِّم بين ذلك الكلام في فصلين: أحدهما ذكر شيء من أخبار كعب، وسبب قوله هذه القصيدة...الثاني في بيان بحر هذه القصيدة، وعروضها، وضربها، وقافيتها، وما اشتملت عليه من المعاني إجمالا[25]. فكل هذه أدوات سياقية تداولية، الغرض منها دعم العملية التواصلية بين منشئ الخطاب والمتلقي.

تبيَّن فيما سيق أن التداولية تهتم بدراسة الخطاب في بعده السياقي، فالتداولية مقولة لغوية وفكرية، موصولة بمقامات وسياقات الخطاب، لها جملة من الخصائص التحاورية والتفاعلية، تتجاوز مستوى المفردات والألفاظ والجمل إلى مستوى النص والخطاب.

وقد كان مفهوم السياق واضحاً في فكر ابن هشام إذ سعى لبيان سياق القصيدة، وسبب قولها، ودوافع الشاعر، وملابسات الموضوع. قال ابن هشام: " ولما اتصل خبر إسلام بجير بأخيه كعب أغضبه فقال:

إلا أبلغا عني بجيراً رسالةً فهل لك فيما قلتَ ويحك هل لكا
سقاكَ بها المأمون كأساً رويَّةً فأنْهلك المأمون منها وعلَّكا
ففارقتَ أسباب الهدى واتَّبعتَهُ على أيِّ شيءٍ ويب غيرك ولَّكا

وأرسل بها إلى بجير، فلما وقف عليها أخبر رسول الله، فلما سمع ... [26].

إنَّ ما يثبت فكرة السياق والمقاربة التداولية في النص السابق لابن هشام ما يأتي:

كان يمكن لابن هشام أن يستغني عن ذكر سياق القصيدة، لو أنه سلك المنهج التعليمي الآلي، في النحو والصرف واللغة، فالمنهج التقليدي الآلي لايقتضي من دارس النحو أو اللغة الوقوف على ملابسات النص، أو عوامل وظروف إنشئه، إلَّا أن الفكر التداولي الذي ينطوي عليه ابن هشام استدعى منه أن يبين سياق القصيدة، ليقينه بعلاقة السياق بكل هذه الجوانب المدروسة.

كان ابن هشام مدركاً لمفهوم الخطاب، وأنَّ الشعر عبارة عن خطاب، وهذا الخطاب قائم بين منشئ ومتلق، ويقوم على مبدأ التواصل، وأن ترسيخ مبدأ التواصل لايتم إلا من الكشف عن سياق وملابسات القول.

اعتقد ابن هشام بأنَّ مكونات الخطاب اللغوية والنحوية لها الإسهام الرئيس في تحقيق عملية فهم الخطاب، ومن هنا لابد أن تكون دراسة اللغة والصرف والإعراب في القصيدة منطلقة من فكرة الاستعمال والتداول، ولذلك ربط، ابتداءً، بين سياق القصيدة ودراسة الإعراب واللغة، لتحقيق القدر الأكبر من الفهم، وهو ما تسعى إليه الدراسات التداولية الحديثة.

المبحث الثاني:
الأبعاد التداولية في شرح القصيدة
البعد اللغوي، المعجم، التداولية والمعجم اللغوي
على الرغم من الفكرة القائلة بالتباين بين المعنى الدلالي والمعنى التداولي، من حيث إن المعنى الدلالي محكوم بقواعد نحوية، على حين يحتكم المعنى التداولي إلى الخطاب [27]، وعلى الرغم من أنَّ احتكام المعنى التداولي إلى الخطاب يسهم في تعدده وتمدده عبر طرائق جديدة لم تكن مألوفة؛ لأنه يمنح بعداً دينامياً للمعنى، بحسب تعدد المواقف والسياقات المختلفة اللغوية وغير اللغوية، على حين أن من المنتظر من الدلالة (المعجم) أن تقدم معنى افتراضياً للكلمة أقرب إلى الثبات، فعلى الرغم من كل ما تقدم، فإنَّ بعض الباحثين يرى أن على المعجم أن يضطلع بالملابسات التداولية والمعنى الدلالي[28]، فالصناعة المعجمية الغربية لها اتجاهان: توجيهي ووصفي، إذ يعرف الطالب أو القارئ متى يجوز استعمال اللفظة وهذا يعني فهم مضامينها الاجتماعية، " وذلك أن بعض المفردات يصعب الوصول إلى المقصود منها دون معرفة ملابساتها الاستعمالية، فهي تستمد معناها من قيمتها التداولية[29]، وهذا ينسحب على المفردات (القديمة)، إذ يتم البحث عن دلالة اللفظة من حيث الاستعمال في سياقها التداولي التاريخي. ولايخفى أنَّ معالجة هذه الملابسات هي معالجة أقرب إلى التداولية منها إلى الدلالية؛ ذلك أنَّ التداولية في تعاملها مع اللفظة معجمياً تستهدف شرح معنى الرسالة اللغوية من حيث استعمالها في السياق[30]. فالسياق اللغوي: وهو ما يحكم دلالة العنصر، ضمن محيط لغوي محدد، وقد يسمى بالسياق المقالي[31]. والسياق غير االلغوي: ويقصد به ما يحكم دلالة العنصر اللغوي من ملابسات غير لغوية، ويسمى بالمقام التخاطبي[32].
وهذا ينسحب على المناحي الاجتماعية والثقافية، ويعير اهتماماً بالمشاركين في الحدث الكلامي، من حيث مستوى العلاقات. وكما هو معلم أن النظر البنيوي كان قد أقصى السياق غير اللغوي في عملية التحليل، إلا أن الأمر مختلف في النظر التداولي[33]. وهذا االسياق يهتم بالألفاظ التي تعنى بمواقف الإعجاب والتوجع والمكروه إلخ... وسنقتصر على أخذ بعض النماذج التي تبين الفكرة التداولية في شرح المفردات المعجمية، ففيما يتعلق بالمعجم ومعاني الألفاظ، ابتدأ الشارح، منذ البيت الأول، في قول الشاعر:

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيَّمٌ إثرَها لم يُفدَ مكبولُ

فقال: فقوله: بانت معنى بان: فارق، وله مصدران: البين والبينونة، ووزنه عند البصريين (فيعلولة)، وأصله بيينونة بياءين، الأولى زائدة والثانية عين، ثم أدغمت الأولى في الثانية فصار بينونة، ثم خفف بحذف الثانية، كما فعل بسيد وميت، فصار بينونة على وزن (فيلولة)، والتزم فيه التخفيف لطوله. ومذهب االكوفيين أنه فُعلولة بالضم كعصفورة، ثم كسرت فاؤه، لتسلم الياء، ثم فتحت لثقل كسرة وضمة ليس بينهما حاجز... [34]، فلم يكتفِ الشارح ببيان المعنى المعجمي للألفاظ، بل عمد إلى تقليب صورها في الاستعمالات المختلفة، ليبين دلالات استعمالها في سياق القصيدة. ومن ذلك أيضا، فيما يتعلق ببيان الدلالة المعجمية بالمقام قول كعب:

أنبئت بأن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فقال: جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت، فإنَّ غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف ومعنى (أنبئت) أخبرت... والوعد في الخير والإيعاد في الشر (الوعد) والعفو[35]. فتقليب هذه المعاني المعجمية للألفاظ، غايته الوصول إلى دلالات استعمال اللفظة في سياقها المعجمي والنظر في دلالتها في سياق القصيدة.
ويتبين الفكر التداولي عند الشارح في تعامله مع معنى لفظة (قلب) في البيت نفسه، إذ يقول: وللقلب أربعة معان: أحدها: الفؤاد، ومنه ختم الله على سمعه وقلبه. وهو المراد هنا. وإنما سمي قلبا لتقلبه. والثاني: العقل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق: 37]. والثالث: خالص كل شيء ومحضه، ومنه الحديث (لكل شيء قلب وقلب القرآن يس). والرابع: مصدر، وجمع القلب قلوب، وأقلب[36].

البعد النحوي التداولي (النحو والتداولية)
إنَّ اللسانيات لاتنفي علم النحو ولاتنقضه، بل إنَّ وجودها متوقف على وجوده، إذ لامعنى للبحث اللساني مالم نستنبط نظام اللغة عن طريق استخراج مؤسستها النحوية[37]، ولهذا فثمة علاقة بين التداولية والنحو، وأنَّ أهم منطقة للتفاعل بينهما هي منطقة الدوال[38]، والمعني بالنحو هنا ليس العلامة الإعرابية فحسب؛

بل النظر في الدلالات المتولدة من تلك العلامات، والتي من شأنها أنْ تغيَّر المعنى، وكذلك النظر إلى المقاصد القولية في السياقات المحددة، وفقاً لتغيُّر مسار التوجيه النحوي، وهذه منطقة التقاء النحو بالبلاغة، وهي منطقة علم المعاني التي هي منطقة اشتغال النحو في جانبه التطبيقي، وهذه المنطقة هي التي تنفتح على اهتمامات الجانب التداولي للكلام. ومن هنا فمصطلح (نحو) يعني كل ما يتعلق بنظام الكلام.

لقد أخذ النحو في الدراسات الحديثة أبعاداً وأشكالاً ليست كالأبعاد والأشكال التي عُرف بها في العصور القديمة، وهذه الأشكال الجديدة هي بفضل اللسانيات التي نقلته " نقله نوعية من منظوره التفكيكي المعياري إلى البنيوي الوصفي، وهذا التغير حدا بالنحو أن يخرج من مجاله الجزئي المكمل لكونه ركناً من أركان مكونات الكلام إلى مفهوم اكثر أتساعاً وشمولية، فيكون مصطلحاً يكاد يستقر له مفهوم ذو رؤية متكاملة"[39]، وهذه الرؤية هي التي تُعنى بالوظائف أكثر من عنايتها بالأشكال الجزئية.

الروابط النحوية

الحرف: إنَّ الأفعال والأسماء والحروف هي "مكوناتٌ معجميةٌ أساسيةٌ تعمل على إنشاء التركيب، وتسهم في إثرائه وتوسيعه، ثم يظهرُ المكونُ العاملي ليربط بينهما وبين مكونات التركيب الأخرى، التي تعمل على إنتاج الدلالة"[40]. إذنْ وجود الحرف ضرورة حتمية لإحياء معنى الجملة؛ لأنه هو الذي بين المعنى الكلي للجملة، وليس معنىً جزئياً؛ لأنَّ المعنى كلياً يتوقف على وجود هذا الحرف.

يُستدلُّ من هذا الإجراء أنَّ معنى الحرف موجود؛ غير أنَّ وجوده بوجود طرفي الجملة، ومن هنا أطلق على معنى الحرف اسم: (الوجود الرابط)، وعرَّفوه على هذا الأساس بأنَّه: مادلَّ على معنىً في غيره، وهذا هو الشائع في تعريف الحرف، لكنْ ثمَّة تعريفاً آخر يمنحه صلاحية أكبر في أنْ يكون فعلاً كلامياً بامتياز، وهذا التعريف هو: " ما أوجد معنى في غيره"[41]، مع أنَّ التعريف الأول لايسلبه قوته الإنجازية، ففي كلا التعريفين يبقى هو العنصر الذي يتوقف على وجوده معنى الجملة، وهذا كافٍ لأنْ يكون محور الفعل الكلامي الذي تنطوي عليه الجملة.

ولو تأملنا موقف ابن هشام من الحرف لوجدناه يعتني عناية كبيرة بالجانب الاستعمالي، ولذلك يعمد إلى بيان معاني الحروف من جانبين: علاقتها بالسياق الداخلي، وعلاقتها بالسياقات الخارجية، من خلال النظر في معانيها الأخرى، فيما لو استعملت في سياقلات أخرى، وما يمكن أن يحوز عليه الحرف من شحنات معنوية داعمة لدلالته في السياق، ولنتأمل هذا مثلاً في تعامله مع الفاء في البيت الأول، في قول الشاعر: (فقلبي اليوم متبول) قال: " قوله: فقلبي، إعلم أنَّ للفاء ثلاث حالات... وعطف الاسمية على الفعلية جائز عند الجمهور مطلقاً، بدليل قولهم في نحو: قام زيد وعمراً أكرمته[42].

الربط الشرطي

معنى الشرط: هو إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه[43]، ومفهوم الشرط في النحو يعني: هو اقتران أمر بأمر آخر، فلايتحقق الثاني إلا بتحقق الأول، وذلك بوجود أداة الشرط. ويعد الربط الشرطي من أهم ملامح الربط في العربية، ويستند إلى وجود جملتين يكون وجود الجملة الثانية شرطاً لوجود الجملة الأولى، مع وجود أداة رابطة، والربط بهذه الأداة يسمى الربط الشرطي لاعتماده على عناصر ثلاثة: أداة الشرط ـ وقد تكون اسماً أو حرفاً، وجملة فعل الشرط. ومن المواقع التي وقف عليها ابن هشام والتي فيها التباس قول الشاعر:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلولُ

قال: وقوله: (إذا) ظرف منصوب المحل وفي ناصبه وجهان... وهل الناصب فعل الشرط أو فعل الجواب؟ قولان أشهرهما الثاني، وأصحهما الأول... وعلى الثاني فإن قدرت (إذا) شرطية كانت هي وجملتها اعتراضا[44].

الربط الوصلي

ويدخل هذا الربط فيما يسمى بالمباني ذات التبعية الدلالية المباني ذات التبعية الدلالية[45]. وحروف العطف من الروابط المهمة في النص[46]، فقد دراسها ابن هشام ليس من ناحية كونها أدوات جامدة؛ بل من ناحية كونها أدوات تضيف معنى جديداً في النص، وتربط بين مكوناته المختلفة، وهي بهذا تمثِّل

مكونات بنائية تقوم عليها مقامات بلاغية، ومن تلك المقامات مقام الوصل الذي تتصدر (الواو) عوامل بنائه، فمن ذلك قول الشاعر:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها وما إخال لدينا منك تنويل

فالوصل هنا بين جملتي أرجو وآمل. قال: وقوله: (وآمل) الأمل هو الرجاء. قيل وإنما عطف عليه لأنه يكون في الممكان والمستحيل. والرجاء يخص الممكن. قلت: وإنما هذا الفرق بيتن التمني والرجاء، وإنما المصحح للعطف اختلاف اللفظ[47].

الربط بالقصر

من معاني القصر: يقال: قصرك أن تفعل كذا أي حسبك وكفايتك وغايتك ... وهو من معنى القصر الحبس؛ لأنك إذا بلغت الغاية حبستك[48]. وقد تناول ابن هشام هذا الرابط بإسهاب، فقال في قول الشاعر:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

التحقيق أن الشرط إنما هو وجود الدليل، ومن جملة الأدلة اختصاص الصفة بالموصوف، وأما أنها شرط متعين فلا ... اختلفوا في الخبر المقرون بـ إلا بعد (ما) على أربعة أقوال، الأول: وجوب الرفع مطلقا وهو قول الجمهور، نحو: وما محمد إلا رسول)، ووجهه: أنها عملت لشبهها بليس في النفي، وقد انتقض بإلا فزال الأمر الذي عملت لأجله. الثاني: جواز النصب مطلقا وهو قول يونس ووجهه الحمل على ليس. لثالث: جواز النصب بشرط كون الخبر وصفا، وهو قول الفراء فيجيز: ما زيد إلا قائما. الرابع جواز النصب بشرط كون الخبر مشبها به وهو قول بقية الكوفيين فيجيزون: ما زيد إلا زهيرا . وعلى هذا فالنصب في قوله إلا أغن جائز على الأقوال الثلاثة الأخيرة[49]. وهنا يتبين مقدار عناية ابن هشام بالربط الشرطي وحالاته الإعرابية في دعم المعنى الذي يقصد إليه الشاعر

الربط بحروف الجر

وهي قسم من أقسام حروف المعاني، وتسمى حروف الإضافة، و " سميت بذلك لأن وضعها على أن تفضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء، وإن اختلفت بها وجوه الإفضاء وهي على ثلاثة أضرب: ضرب لازم للحرفية، وهو تسعة أحرف: (من ـ إلى ـ حتى ـ في ـ الباء ـ اللام ـ رب ـ واو القسم ـ تاء القسم)، وضرب كائن اسماً وحرفاً، وهو خمسة أحرف: (على ـ عن ـ الكاف ـ مذ ـ منذ)، وضرب كائن حرفاً وفعلاً، وهو ثلاثة أحرف: (حاشا ـ خلا ـ عدا)[50]. وسميت حروف الجر بذلك لأنها تجر فعلاً إلى اسم، أو اسماً إلى اسم، " ومن سماها بأثرها الذي تحدثه فيما دخلت عليه، وهو الجر سماها حروف الجر، ومن نظر إليها من جهة معناها، وهو أنَّها تضيف الاسم إلى ما قبله أو ما بعده سماها حروف الإضافة"[51]. قال ابن هشام في قول كعب:

ولن يبلغها إلا عذافرة لها على الأين إرقال وتبغيل

قوله: (على) وهي ومجرورها حال، فتتعلق بمحذوف، وهي بمعنى (مع) مثلها في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [إبراهيم: 39]، وقوله:

من كل كل نضاخة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الأعلام مجهول

قوله (من) تبعيضية أو مبينة للجنس، أي: التي هي كل ناقة نضاخة والأول واضح وأما الثاني: فقد يظهر أنه أحسن وأبلغ؛ لأنه جعلها جميع هذا الجنس[52]

المبحث الثالث

البعد البلاغي في شرح ابن هشام

إنَّ البعد المتصل بممارسة اللغة، هو الذي يُعنى بالأفعال والتفاعلات، فتكون اللغة فيه وسيلة للفعل التواصلي، ومن هنا توجهت التداوليات الحديثة للاهتمام بالبلاغة، فرصدت لها أعمال كثيرة في الغرب، وقد يرجع السبب في مجال التنظير إلى العناية في وصف الخصائص الإقناعية للنصوص ومحاولة تقويمها، و" هكذا تم إحياء البلاغة لتصير علماً معاصراً قائماً على أسس علمية نظرية وتجريبية، وللربط بين البلاغة والتداوليات ما يبرره، فقد كانت البلاغة الغربية في عهودها القديمة ذات خصائص تداولية حيث كانت تعلم سبل إقناع المتلقي بصحة قضية ما، والأهم من ذلك أن المفهوم المفتاح بالنسبة إلى التداوليات هو نفسه المفهوم المفاتح بالنسبة إلى البلاغة، وهو مفهوم المقام"[53] .

إنَّ ارتباط البلاغة العربية بالمقام كما بيَّنا يلخصه تعريف البلاغة القائل: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومعناه ربط البنيات اللغوية بمقتضيات المقام الذي ترد فيه في الأحوال المختلفة. وقد كان ابن هشام مدركاً لترابط النحو والبلاغة في تحقيق التواصل بين المنشيئ والمتلقي، وقد أشار بقوله عن إحدى المسائل: أما النحوي: فلأن الأصل في الواو العطف لا الاستئناف وأما البياني: فلأن تناسب الضمائر أولى من تنافرها[54]، قال في شرح بيت كعب:

ضخم مقلدها عبل مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ

قوله (ضخم) فيه ثلاث مسائل: الأولى: لغوية. الثانية: إعرابية. الثالثة: أدبية: وهي أن (المقلد) موضع القلادة من العنق والمراد وصف الناقة بغلظ الرقبة وقد عيب ذلك، فقال الأصمعي هذا خطأ في الوصف، وإنما خير النجائب ما يدق مذبحه، وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين من خطأ الوصف قول كعب ضخم مقلدها لأن النجائب توصف برقة المذبح[55]. وهنا يتبين الفكر الفكر التداولي، فإدراك الترابط بين النحو والصرف والبلاغة، بوصفها أدوات للتواصل بين منشئ الكلام ومتلقيه إنما هو غاية التداولية، زلهذا عمد ابن هشام إلى المزج بين الدراسات العربية المختلفة، فتناول عناصر البلاغة، من تشبيه واستعارة وكناية، فقال في شرح بيت كعب:

غلباء وجناء علكوم مذكرة في دفها سعة قدامها ميلُ

فإنه كناية عن طول عنقها ... ولا مدخل لمعنى الغلظ هنا، وقد يستعار الغلب لغلظ غير لعنق، قال تعالى: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠﴾ [عبس: 30][56].

الخاتمة

بعد أن أتممنا فقرات بحثنا (شرح ابن هشام النحويّ لقصيدة البردة مقاربة تداولية)، نضع فيما يأتي أهم النتائج التي توصل إليها البحث وعلى النحو الآتي: عن نتائج عديدة، من أبرزها ما يأتي:

تمخض شرح ابن هشام عن جهود تداولية، تمثَّلت في إجراءاته وأدواته في شرح القصيدة، ما أمكننا إحداث مقاربة تداولية.

ظهرت الملامح التداولية في الشرح من خلال الخطاب، والاهتمام الكبير بالسياق والمقام، ومحاولة تفسير جميع المسائل بالعودة إلى سياق القصيدة، واهتمام الشارح بالمقام التخاطبي.

الطابع الذي امتاز به خطاب ابن هشام هو الطابع التعليمي، مما نستطيع أن نطلق عليه: الخطاب التعليمي.

عضَّد ابن هشام خطابه التعليمي بأدوات الحجاج والحوار وغير ذلك من الأدوات، التي جعلت من خطابه التعليمي خطاباً تداولياً بامتياز.

ركز ابن هشام على الجوانب الاستعمالية للغة بمختلف مستوياته، على الرغم من عدم إهماله الجوانب الجمالية.

تطرق البحث إلى الجوانب النحوية التي درسها ابن هشام في شرح القصيدة، على وفق المنظور التداولي للنحو.

كان من غايات الخطاب التعليمي التركيز على عملية الفهم والإفهام، والتي تخضع لمبدأ الاستعمال، وهذا ال يشمل كل مستويات الكلام من الأصوات إلى اللفظ إلى التركيب.

أشار البحث إلى تناول ابن هشام لأدوات الربط، والاهتمام بالبعد البلاغي للقصيدة، والبحث في مكوناتها اللغوية؛ من صرف وصوت؛ وغير ذلك من الأدوات التي اكتملت بوساطتها الرسالة اللغوية بين المرسل والمستقبل.

هوامش البحث

(1) البلاغة والسلطة: ريتشارد أندروز، ترجمة: أكرم أبو سحلي، فصول، البلاغة الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 1/26، العدد 101، خريف 2017م: 92.

(2) حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية: د. فضيلة قوتال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1438هـ - 2017م: 54.

(3) اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين: د. مرتضى جبار كاظم، منشورات ضفاف، الرباط، ط1، 1436هـ - 2015م: 29.

(4) ينظر: آليات التحليل التداولي للخطاب التعليمي، حورية بزا، أحمد واضح، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مجلد10/عدد3/2021م: 19
(5) ينظر: الحجاج في خطب الشيخ البشير الابراهيمي، مقاربة تداولية، إعداد باجي بن عودة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، علوم تخصص اللسانيت، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، كلية الآداب / قسم اللغة والأدب العربي، 2017– 2018م :20– 36.
6() ينظر: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، سورية دمشق، الإصدار الأول: 2011م: 9.
(7) التداولية عند العلماء العرب: 26– 27.
(8) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت، ط1، 2005م.، 30– 40.
(9) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة 1978م: 124
(10) شرح قصيدة بانت سعاد، تليف: جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري النحوي، 708 - 761هـ، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن عبد القادر الطويل، المكتبة الإسلامية، ط1، 1431هـ - 2010م: 74.
(11) المصدر السابق: 74.
(12) المصدر السابق: 52 – 53
(13) ينظر: شرح قصيدة بانت سعاد (كلام محقق الكتاب): 88.
(14) المصدر السابق: 88.
(15) المصدر السابق: 88.
(16) ينظر: أنواع التداولية، د. عبد الله جاد الكريم، جريدة شموس نيوز، https://www.shomosnews.com
(17) ينظر: مخطوطة شرح قصيدة بانت سعاد لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، 707 – 761 هـ، تحقيق ودراسة، أطروحة، إعداد: حسين بو رمل، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2018م: 77.
(18) شرح قصيدة بانت سعاد: 88.
19() اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م: 229.
20() ينظر: الحجاج والبلاغة الجديدة، د. تك تك إكرام، جامعة ادرار، مجلة الحقيقة، العدد: 31: 23.
21() في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، شارع إيران تونس، ط1، 2011م: 12
22() ينظر: نحو حجاج قانوني من اللسانيات إلى التداوليات، عبد الحق بلعابد، مجلة المخاطبات، العدد: 12، 2014م: 150– 153.
(23) شرح قصيدة بانت سعاد: 82.
24() ينظر: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، واضح أحمد (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر، 2011- 2012م: 3.
(25) شرح قصيدة بانت سعاد: 87.
(26) الخطاب التداولي / مصدر سابق: 77.
(27) مبادئ التداولية، ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2013م: 31.
(28) علم اللغة وصناعة المعجم علي القاسمي، جامعة الملك سعود(1411): 133.
(29) المعجمية وعلم الدلالة المعجمي، مفاهيم أساسية الان بولغير:، ترجمة: هدى مقنص، المنظمة العربية للترجمة (2012م:: 241
(30)البراغماتية والحوار، ليتش ووايسر، ترجمة طارق إبراهيم دليل أكسفورد في اللسانيات الحاسوبية، إشراف وتحرير: روسلان ميتكوف، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز 210/1
(31) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومنيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس: 2008م: 134 2008م: 133
(32) المصدر السابق: 133
(33) ينظر: المصدر السابق: 134.
(34) شرح قصيدة بانت سعاد: 90.
(35) المصدر السابق: 294.
(36) المصدر السابق: 92– 93.
(37) ينظر: مباحث تأسيسية في اللسانيات، د.عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010م: 120 .
(38) التأسيس اللغوي للبلاغة العربية قراءة في الجذور، عبد الجليل هنوش، دار المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2016م: 76.

(39) المنهج التاريخي والمقارن في الدراسات النحوية الحديثة لـ دكتور عدي حسين علي طبعة أولى: 1437هـ - 2016م دار ومكتبة عدنان بغداد شارع المتنبي: 131.
(40) انتظام المعرفة اللغوية، مجموعة مؤلفين، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م: 226.
(41) البحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات، 1980م: 66.
(42) ينظر: شرح قصيدة بانت سعاد: 90– 92.
43() ينظر: لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مراجعة وتدقيق: د. يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين، ونضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م.: ج2 / 2011.
(44) شرح: 117- 119.
45() ينظر: اللسانيات المجال , والوظيفة , والمنهج، د. سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث: 510.
46() ينظر: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، الناشر: عالم الكتب، ط1، 1413هـ – 1993م: 140.
(47) شرح بانت سعاد: 190.
48() ينظر: لسان العرب: ج3 / 3236.
(49) شرح بانت سعاد: 110.
50() ينظر: المفصل في علم العربية، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، 538هـ، تحقيق: د. فخري صالح قدارة، دار عمار،ط1، 2004م: 242.
51() دلالات حروف المعاني، الجر والعطف، وأثرها في التفسير، إعداد: ميادة محمود ابراهيم الدلقموني، الجامعة الأردنية 2003م: 25 .
(52) شرح بانت سعاد 114– 115.
(53) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، د. خليفة بوجادي، 2009م 154 .
(54) شرح بانت سعاد: 211.
(55) المصدر السابق: 227.
(56) المصدر السابق: 233.

المصادر

آليات التحليل التداولي للخطاب التعليمي، حورية بزا، أحمد واضح، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مجلد10/عدد3/2021م.
انتظام المعرفة اللغوية، مجموعة مؤلفين، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م.
أنواع التداولية، د. عبد الله جاد الكريم، جريدة شموس نيوز، https://www.shomosnews.com
البحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات، 1980م.
البراغماتية والحوار، ليتش ووايسر، ترجمة طارق إبراهيم دليل أكسفورد في اللسانيات الحاسوبية، إشراف وتحرير: روسلان ميتكوف، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي 210/1
بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة 1978م.
البلاغة والسلطة: ريتشارد أندروز، ترجمة: أكرم أبو سحلي، فصول، البلاغة الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 1/26، العدد 101، خريف 2017م.
البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، الناشر: عالم الكتب، ط1، 1413هـ – 1993م.
التأسيس اللغوي للبلاغة العربية قراءة في الجذور، عبد الجليل هنوش، دار المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2016م.
التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت، ط1، 2005م.
الحجاج في خطب الشيخ البشير الابراهيمي، مقاربة تداولية، إعداد باجي بن عودة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، علوم تخصص اللسانيت، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، كلية الآداب / قسم اللغة والأدب العربي، 2017– 2018م.

الحجاج والبلاغة الجديدة، د.تك تك إكرام، جامعة ادرار، مجلة الحقيقة، العدد: 31.
حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية: د. فضيلة قوتال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1438هـ - 2017م.
الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، واضح أحمد (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر، 2011- 2012م.
دلالات حروف المعاني، الجر والعطف، وأثرها في التفسير، إعداد: ميادة محمود ابراهيم الدلقموني، الجامعة الأردنية 2003م.
شرح قصيدة بانت سعاد، تليف: جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري النحوي، 708 - 761هـ، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن عبد القادر الطويل، المكتبة الإسلامية، ط1، 1431هـ - 2010م.
علم اللغة وصناعة المعجم علي القاسمي، جامعة الملك سعود(1411).
في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، د. خليفة بوجادي، 2009م.
في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، شارع إيران تونس، ط1، 2011م.
لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مراجعة وتدقيق: د. يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين، ونضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م.
اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م.
اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين: د. مرتضى جبار كاظم، منشورات ضفاف، الرباط، ط1، 1436هـ - 2015م.
اللسانيات المجال , والوظيفة , والمنهج، د. سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث.
مباحث تأسيسية في اللسانيات، د.عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010م.
مبادئ التداولية، ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2013م.
مخطوطة شرح قصيدة بانت سعاد لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، 707 – 761 هـ، تحقيق ودراسة، أطروحة، إعداد: حسين بو رمل، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2018م.
معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، باتريك شارودو ودومنيك منغنو، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس: 2008م.
المعجمية وعلم الدلالة المعجمي، مفاهيم أساسية الان بولغير:، ترجمة: هدى مقنص، المنظمة العربية للترجمة (2012م.
مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، سورية دمشق، الإصدار الأول: 2011م.
المفصل في علم العربية، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، 538هـ، تحقيق: د. فخري صالح قدارة، دار عمار،ط1، 2004م.
المنهج التاريخي والمقارن في الدراسات النحوية الحديثة لـ دكتور عدي حسين علي طبعة أولى: 1437هـ - 2016م دار ومكتبة عدنان بغداد شارع المتنبي.
نحو حجاج قانوني من اللسانيات إلى التداوليات، عبد الحق بلعابد، مجلة المخاطبات، العدد: 12، 2014م.